قراءة جديدة في هدنة الإمام الحسن (ع)

أ.م.د. هادي عبد النبي التميمي
الكلية الإسلامية الجامعة / النجف الأشرف

م.باحث:رفعت أسودي عبد
كلية الآداب/ جامعة القادسية

شاع خطأ في الروايات التاريخية اطلاق تسمية ما جرى بين الإمام الحسن (ع) وبين معاوية مصطلح (الصلح) ولو رجعنا إلى أمهات كتب اللغة لوجدنا أن الصلح يعني القطع في الأمور ولعل لكل قارئ متفحص في التاريخ سيجد أن الأمر الذي اتفق عليه الإمام الحسن (ع) لم يكن سوى هدنة إلى أمر محدد تنتهي بهلاك معاوية ، وإذا عرفنا بأن الرواية التاريخية التي تخص هذه الحقبة التاريخية قد دونت بأيدي كتاب السلطة الأموية ووعاظ السلاطين لأصبح الأمر واضحاً لدينا عن سبب اطلاق هذه التسمية على قضية الهدنة فالأمر لم يكن سوى إيهام القارئ للتاريخ على أن الإمام الحسن صالح معاوية وسلم له الأمر وزادت الضبابية التي طبعت بها بنود الهدنة واختلاف المؤرخين على بنودها لكي تزيد من مظلومية الإمام الحسن (ع) وترفع من شان معاوية الذي أصبح له الحق بموجب تلك الضبابية والشبهات التي أحاطت ببنود الهدنة في أن يبايع من بعده ليزيد واستخدم الحديث النبوي كما سنرى لاحقاً بامتياز لاضفاء المشروعية على تصرفات معاوية فيما بعد .

وعلى أية حال فقد بويع الإمام الحسن (ع) بعد وفاة والده بيومين[١]، وقيل يوم مات أبوه[٢]، وكان قد بايع علياً (ع) على الموت اربعون الفاً للسير بهم إلى معاوية في الشام وذلك قبل اغتياله (ع) ، فلما بويع الإمام الحسن (ع) وبلغه مسيرة جيش الشام إليه تجهز وسار من الكوفة يريد معاوية، إلاّ ان خذلان جيشه وقادته ومن ثمّ انتهاب متاعه وطعنه في فخذه، أدى به إلى مهادنة معاوية وكتب له بذلك شروطاً[٣].

وقد روي ان الإمام الحسن (ع) أعلم أخيه الإمام الحسين (ع) بذلك، فقال: ((يا هذا اني نظرت في أمري فوجدتني لا اصل إلى الأمر حتى يُقتل من أهل العراق والشام من لا أحب ان احتمل دمه، وقد رأيت ان اسلم الأمر إلى معاوية فاشاركه في احسانه ويكون عليه اساءته، فقال الحسين (ع): انشدك الله ان تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: اني لا أرى ما تقول، ووالله لئن لم تتابعني لأشدّنك في الحديد فلا تزال فيه حتى افرغ من امري. قال: فشأنك))[٤].

والغريب ألا يرد ذكرٌ للإمام الحسين (ع) في شأن الهدنة إلاّ معترضاً لائماً في نص يبدو فيه التناقض واضحاً فالنص يصوّر معاوية محسناً بطلب الهدنة ويغضي عن كونه الخارج على السلطة

والبادئ بسفك الدماء التي بدا ان النص يجعلها في عنق الإمام أمير المؤمنين علي (ع) الذي أخذ الإمام الحسن (ع) يخالف نهجه ويجنح إلى السلم – وذلك يخالف أيضاً خروج الإمام الحسن (ع) بُعدة الحرب إلى معاوية –[٥] وقد استدعت رغبة الإمام الحسن (ع) بالهدنة أن يعزم الإمام الحسين (ع) عليه بـألاّ يعيب أباه وكأن الإمام أمير المؤمنين علي (ع) هو الذي تشبث بالحرب ودعا إليها في نزاعه مع معاوية وهذا يناقض ما أوردته المصادر التاريخية كلها والقائلة بخروج معاوية على الخلافة وابائهِ البيعة وسعيه إلى حرب الإمام أمير المؤمنين علي (ع) بكل وسيلة لم تفلح معها محاولات السلام الدائمة التي قدمها الإمام أمير المؤمنين علي (ع) [٦] ؛ وقد جاءت صيغة النص توحي بتفرد الإمام الحسن (ع) بقرار الهدنة دون استشارة المقربين منه، أو أهل بيته، وهذا ما سكتت عنه المصادر التاريخية كذلك، واظهرت هذه الرواية ان الإمام الحسين (ع) يرد على الإمام الحسن (ع) أمره ولا يقنع بفعله، ولا يُعقل أن يكون ذلك من شخص رافق الإمام الحسن (ع) في كل خطواته، وعاش تطورات الوضع العسكري والسياسي الذي قاد الإمام الحسن (ع) إلى قبول الصلح، وبوسع الباحث ان يهتدي إلى مؤشرات أخرى منها ان تاريخ العلاقة بين الحسنين م يكن إلاّ تاريخ المودة والاحترام والتقدير لبعضهما، ولم تسجل المصادر التي عنيت بترجمتهما أي بادرة خلاف أو نزاع، ناهيك عن ان الإمام الحسين (ع) حتى وإن كان كارهاً للهدنة – وهذا لا يستثنى منه الإمام الحسن (ع) أيضاً – إلاّ انه انسجم تماماً مع رؤية الإمام الحسن (ع) للظروف القائمة آنذاك فنجد انه لم يستغل انفعال عدد من أصحاب الإمام الحسن (ع) عندما شخصوا إلى المدينة مطالبين الإمام الحسين (ع) باعادة الحرب مع معاوية فنصحهم بمثل ما نصحهم به أخيه الإمام الحسن (ع) بأن يلزم كل رجل منهم بيته ما دام معاوية حياً[٧]، فضلاً عن أن الإمام الحسين (ع) كان يعرف بأن أخاه هو الإمام المفترض الطاعة وأن دوره في الإمامة كان الحفاظ على بيضة الإسلام من خلال تلك الهدنة كما سيكون دوره في الحفاظ على أصل الدين الإسلامي هو القيام بسل السيف ولنا في ترك رسول الله i لولديه الإمامين: ((ابناي هذان [الحسن والحسين] إمامان قاما أو قعدا))[٨]. خير دليل إلى صحة ما ذهبنا إليه والحديث إشارة واضحة إلى مهمة الإمام الحسن (ع) وهي أن يهادن ويقعد وأن مهمة الإمام الحسين (ع) أن يقوم ويستشهد .

ولقد تفاوتت بنود الهدنة التي جرت بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية من مصدر إلى آخر ففي الوقت الذي نقل الدينوري ان الإمام الحسن (ع) اشترط على معاوية ألا يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة[٩]، وان يؤمن الاسود والأحمر من الناس، ويجعل له خراج الأحواز[١٠] مسلماً إليه وإلى أخيه الإمام الحسين (ع) مليون درهم في كل عام، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس[١١]، ذهب الطبري إلى ان شروط الإمام الحسن (ع) تضمنت أن ((يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في اشياء اشترطها))[١٢]، وأضاف ابن الاثير إلى ذلك: ((ان لا يشتم علياً، فلم يجبه

[معاوية] إلى الكف عن شتم علي، فطلب ان لا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ثم لم يفِ به أيضاً))[١٣].

وذكر الاصفهاني ان الإمام الحسن (ع) قد اشترط على معاوية ((ألا يُتَبع أحدٌ بما مضى، ولا ينال أحدٌ من شيعة علي مكروه، ولا يذكر علي إلاّ بخير))[١٤]، ونقل البلاذري[١٥] شروط الإمام الحسن (ع): بأنه يسلم إلى معاوية ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى انه ليس لمعاوية ان يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى.. وذكر ابن اعثم مثل ذلك وفصّل في الأمان الذي أخذه الإمام الحسن (ع) وذكره البلاذري فقال: ((وان الناس آمنون في أرض الله في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وان شيعة علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، على معاوية عهد الله وميثاقه أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الإمام الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله i غائلة لا سراً ولا جهراً يخيف أحداً منهم))[١٦].

ومن كل هذه الروايات نستخلص الأمور التالية:-

- ان أمر الخلافة لا يترك بأي حال من الأحوال لمعاوية ليبتّ فيه قبل وفاته، وإنما الأمر بعده شورى بين المسلمين في رواية وإلى الإمام الحسين (ع) في رواية أخرى[١٧] فهو بهذا يرى ان الخلافة حق له يتركه لغرض إصلاح الأمة إلى حين ويوضح (ع) ان الصلح لفترة محددة مستشهداً بقوله تعالى: **[وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]**[١٨]، وذلك في خطبة له بأصحابه قبل الهدنة[١٩].
- الاشتراط بتوفير الأمن للناس عامة وشيعة علي (ع) خاصة لأنه توقع ان يقوم معاوية بالانتقام ممن وقف ضده في الأيام السابقة لحكمه.
- الشروط المالية، ويبدو ان المؤرخين قد بالغوا في تلك الشروط، ووهموا في قسم كبير منها، فإذا سلمنا بما ذهب إليه الطبري من أنه طلب من معاوية ان يأخذ خمسة ملايين درهم من بيت مال الكوفة، فهل كان هذا المال بيد الإمام الحسن (ع) أم بيد معاوية؟ ان الكوفة كانت عاصمة الخلافة للإمام الحسن (ع) حتى إقرار بنود الصلح ومسير الإمام الحسن (ع) ومعاوية ودخولهما الكوفة، ولذلك كان بيت المال بيد الإمام الحسن (ع) فهل يطلب من بيده الشيء ممن لا يملكه ؟!.

لقد حاول الطبري ومن أخذ عنه إظهار الإمام الحسن (ع) وكأنه متهافت للحصول على المال، وانه شخص محب للسلامة والدعة. وعن الطبري ومن نقل عنه أخذ كل الكتاب المتأخرين وطعنوا في الإمام الحسن (ع) وفي سعيه إلى الاستحواذ على أموال المسلمين من بيت مالهم.

ومما قاله أحد الكتّاب: ((ولكني أرى ان الحسن لم يكن يريد قتالاً وكان يريد ان يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة.. فهو لم يفضل بصلحه المحافظة على ظواهر الإسلام واسم الدين أو مصلحة الإسلام العليا كما تحاول الشيعة تصويب رأيه))[٢٠].

ويذهب كاتب آخر إلى ان معاوية كان كارهاً لاراقة دماء المسلمين فكلف اثنين من قادته للذهاب إلى الإمام الحسن (ع) واعطاه ما يشاء وما يرضيه وما فيه المصلحة للمسلمين، فيقول الإمام الحسن (ع) ان الأمة قد عاثت في دماء بني عبد المطلب فهو بحاجة لارضاءهم بمال كثير ولذلك طلب الأموال[٢١].

وجزم آخر بأن الإمام الحسن (ع) كان ((عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إلاّ انه لم يسل سيفاً للثأر بعثمان، لأنه لم ير ذلك حقاً له، وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب))[٢٢].

ولذلك سيكون الإمام الحسن (ع) – في نظر الكتّاب – مقبولاً من معاوية أكثر من أبيه، مما يجعل معاوية يغير من سياسته العنيفة السابقة فالإمام الحسن (ع): خرج في عدد ضخم من أهل العراق يظهر لهم بأنه يريد الحرب، ويدبر في الخفاء أمر الهدنة مع معاوية فيما بينه وبين خاصته، ولهذا السبب فإنه معاوية يغير من سياسته العنيفة والقاسية فيميل إلى الرفق ويمعن فيه، وكأنه كان يعرف عثمانية الإمام الحسن (ع) وبغضه للفتنة[٢٣].

ويؤيد كاتب آخر ذلك ويضيف بأن الإمام الحسن (ع) ((لم يكن ميالاً للاضطلاع بهذه الرسالة الصعبة وكان يفضل عليها ان يحيا حياة هينة لينة بعيداً عن متاعب النضال ومشاقه))[٢٤]. فالإمام الحسن (ع) – كما يراه آخر – لم يكن مهيئاً لتحمل أعباء الخلافة لأنه ومن خلال سيرته كان يحب الحياة السهلة، فبعد تنازله عن الخلافة ذهب إلى المدينة لينعم فيها بحياة الحواضر بما حصل عليه من الشروط التي سطرها في الصحيفة البيضاء المختومة التي منحه اياها معاوية ولاسيما الأموال والضياع[٢٥]. ولذلك باع الخلافة لمعاوية بخمسة آلاف ألف، وسلم الأمر بهذا الثمن الرخيص وخرج من الأمر عليه لا له[٢٦]. ان هذا التجني والتأويل للأحداث التاريخية بما لا يقوم عليه دليل علمي دقيق، واطلاق العنان للخيال لتفسير بعض القضايا التاريخية، ووصف الإمام الحسن (ع) بالمخادع الذي يخدع رعيته فيريها انه ذاهب للحرب بينما هو يدبر أمر الهدنة في الخفاء مع رجل الجماعة والسلام الكاره لاراقة دماء المسلمين (معاوية)، ووصف الامام الحسن (ع) بالانتهازي الذي يبيع دماء آل عبد المطلب تارة وخلافته تارة أخرى لينعم بحياة الترف والحواضر على حياة النضال. هو أبرز ما اتسمت به كتابات الباحثين المتأخرين في هذه القضية.

إن المتتبع لبنود الهدنة سيجد هذا التركيز المريب من المؤرخين على الشروط المالية في الوقت الذي أهملوا فيه عن عمد التركيز على الجانب السياسي في بنود الهدنة وبخاصة أمر خلافة المسلمين فأحاطوا الأمر بضبابية عجيبة إذ تركوا أمر الخلافة من دون أن يذكروا شيئاً عنها في بنود الهدنة مطلقاً في روايات في الوقت الذي قالوا عنها في روايات أخرى على أنها ستكون شورى بين المسلمين على أن المتتبع المنصف سيجد أن النص الصحيح الذي ورد في هذا الشأن كان : بأن ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، بل يكون الأمر للإمام الحسن (ع) إن كان حياً فإن حدث به حدث فإن الأمر سيؤول للإمام الحسين (ع).

ولعل للباحث المتفحص المنصف في التاريخ أن يقرأ من خلال هذا النص كيف أن الإمام الحسن (ع) قد مهّد الطريق إلى الإمام الحسين (ع) للقيام بثورته العظيمة فيما بعد بل أن هذا البند من بنود الهدنة هو الذي أعطى المشروعية الحقة لثورة الإمام الحسين (ع) فيما بعد.

ثم أن مما يُعجب له أن يتم إظهار الإمام الحسن (ع) وكأنه يتنازل حتى عن الاعتراف اللفظي بحقه في الخلافة وهو ما لم يفعله أي إمام من أئمة أهل البيت d إلاّ الإمام الحسن (ع)، إلاّ أنه (ع) دحض هذه الشبهة عن نفسه بنفسه عندما قال : أيها الناس أن معاوية زعم اني رأيته للخلافة أهلاً ، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه i، في إشارة واضحة من الإمام الحسن (ع) بقوله تعالى [**إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**][٢٧] والتي أجمع المفسرون وأصحاب كتب أسباب النزول على أنها نزلت في الإمام علي (ع)، فضلاً عن أن الإمام الحسن (ع) أشار من خلال حديثه في أعلاه إشارة واضحة إلى ما ورد على لسان النبي i عن أحقية أهل البيت d بالخلافة من خلال أحقية الإمام أمير المؤمنين علي (ع) بها عبر حديث الغدير (من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه...)، إن هذه المقالة عن الإمام الحسن (ع) ما هي إلاّ تصريح منه بأن الولاية له هي من الله سبحانه وتعالى على الناس وهي لن تزول حتى وإن تولّى الطغاة من أمثال معاوية مقاليد الأمور لظرف معين فإن الإمام الحسن (ع) لو وجد الأنصار لقاتل معاوية ليله ونهاره كما صرّح هو (ع) بأحد أصحابه عندما عاتبه على إجراءه الهدنة مع معاوية.

لقد كانت الخصومة السياسية أحد الأسباب الأساسية في محاولات الدس في الحديث النبوي الشريف[٢٨]، ففي حادثة صلح الإمام الحسن (ع) شاع الحديث المروي عن رسول الله i على انه احدى معالم اعجازه i إذ روي انه قال: ((ان ابني هذا سيد، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[٢٩]. وفي العقد الفريد: ان رسول الله i دخل على ابنته فاطمة J فوجد الإمام الحسن (ع)

وهو طفل يلعب بين يديها فقال: ان الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٣٠].

انتشر هذا الحديث من بين المرويات عن النبي i في الإمام الحسن (ع) والواسطة في نقل هذا الحديث عن النبي i هو أبو بكرة[٣١] وبتفاوت بسيط في الألفاظ نقل كل من نقل هذا الحديث عن أبي بكرة بما سيجري على يد الإمام الحسن (ع) من إصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين على حد تعبير الراوي، وأخذ عنه الباقون[٣٢]، ذلك الحديث وكأنه من المسلّمات.

ولو تفحصنا سند هذه الرواية بدقة لثبت لدينا بأن هذا الحديث أما أن يكون من وضع أبي بكرة نفسه أو نُسب إليه لتحقيق غرض واحد محدد هو: اثبات ان معاوية وجنده فئة عظيمة من فئات المسلمين وليسوا هم الفئة الباغية التي اخبر عنهم الرسول i الذين قتلوا الصحابي عمار بن ياسر بقوله: ((تقتل عماراً الفئة الباغية))[٣٣] ويبدو أن حديث الفئة الباغية أقلق معاوية أيما قلق بعد مقتل عمار في صفين، وكاد جيشه أن ينتفض عليه، لولا قوله: ((إنما قتله الذين جاؤوا به))[٣٤].

إن ما يدفع الباحث إلى الذهاب من ان هذا الحديث من الموضوعات انه في روايته الأولى في صحيح البخاري: ان رسول الله i قال في المسجد النبوي والحسن (ع) إلى جانبه يُقبل مرة على الناس ومرة عليه[٣٥]، وهذا يعني وجود أشخاص في المسجد سمعوا وشاهدوا الرسول i قلّوا أو كثروا وهو يروي الحديث على فرض صدق الراوي ومع ذلك فلم يسجل لنا التاريخ من روى هذا الحديث الذي وضع فيما بعد في قوائم دلائل نبوة النبي i، إلاّ أبو بكرة.

وأما الحديث بطريقته الثانية، فقد كان بين فاطمة وأبيها J وخلف أبواب مغلقة فأين كان أبو بكرة ليروي عن الرسول i ذلك الحديث ؟ ولماذا لم تروه السيدة فاطمة J مثلاً وهو في منقبة من مناقب أبنها ؟.

ومما يزيد الباحث شكاً ويدعوه إلى نقض الحديث ان الذين نقلوا عن أبي بكرة قالوا: ان الحسن كان طفلاً بعمر ثلاث سنوات، وإذا علمنا ان ولادة الإمام الحسن (ع) كانت سنة ٣هـ على أصح الروايات على قول ابن عبد البر[٣٦] أي ان الحادثة كانت في سنة ٦هـ/٦٢٧م، وأبو بكرة اسلم في السنة الثامنة للهجرة بعد حصار حصن الطائف[٣٧]، فهذا يعني ان أبا بكرة كان مشركاً في سنة ٦هـ/٦٢٧م ويثبت عدم وجوده في تلك الحادثة المزعومة بين المصلين في المسجد ليدلي بهذا الحديث، ولعل ما يدعم قول الباحث ما ذكره المسعودي: من ان معاوية لما هادن الإمام الحسن (ع) كبّر فكبّر أهل القصر والمسجد لتكبيره فقيل له: سرك الله ما الذي بلغك ؟ قال: أتاني بشير بمهادنة

الإمام الحسن (ع) وانقياده فذكرت قول رسول الله i: ان ابني هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين، فالحمد لله الذي جعل فئتي احدى الفئتين[٣٨].

فإذا كان معاوية – كما يقول – سمع الحديث من الرسول i فما ينطبق على أبي بكرة ينطبق عليه لأنه اسلم عام الفتح[٣٩]. ومما زاد من اطمئنان الباحث إلى عدم صحة الحديث كون أبي بكرة كان معروفاً بانحرافه عن علي (ع) وآله ولم يشترك معه في حروبه، وخذل الناس عنه في حرب الجمل[٤٠].

وعلى الرغم من ذلك فإن الكتّاب المتأخرين اخذوا هذا الحديث كأحد المسلّمات وضمنوه كتبهم للدلالة على تبشير الرسول i بهذا الصلح، وذهب احدهم إلى القول: ((.. ان هذا الحديث ترك موقعاً كبيراً في نفس الحسن ليحاول جاهداً في حياته ليحقق نبوءة جده i))[٤١].

ومن الواضح ان هذه الروايات تفوح منها رائحة السياسة والهدف منها التمويه على حركة الامام الحسن (ع) وطمس معالمها وتشويه أهدافها[٤٢].

وبعد اتمام الهدنة خرج الإمامين الحسن والحسين (ع) منصرفين من الكوفة فدخلوا المدينة[٤٣]، فأقاموا بها، وأراد معاوية البيعة ليزيد فلم يكن من شيء اثقل عليه من أمر الحسن بن علي (ع) وسعد بن أبي وقاص، فدس لهما السم فماتا منه في أيام متقاربة إذ أرسل إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الإمام الحسن (ع): اني مزوجكِ يزيد ابني على ان تسمي الحسن وبعث لها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمت الإمام الحسن (ع) فسوغها المال، ولم يزوجها يزيد[٤٤].

وقد سقي الامام الحسن (ع) السم مراراً، وفي المرة التي كانت فيها وفاته قال لأخيه الإمام الحسين (ع): لقد سقيت السم مراراً، ما سُقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت اقلبه بعود معي، فقال له الإمام الحسين (ع): مَن سقاكه ؟ فقال: وما تريد منه ؟ أتريد قتله ؟ ان يكن هو هو فالله أشد نقمة منك، وان لم يكن هو فما أحب ان يؤخذ بي بريء[٤٥].

وقد حاول بعض الكتّاب المتأخرين نقض الرواية القائلة بدور معاوية في سم الإمام الحسن (ع) فذهب الجبري إلى بعض ما قال به ابن العربي من قبل فذكر ان معاوية ما كان يخشى من الإمام الحسن (ع) بأساً وكان قد سلّمه الأمر وأعطاه الخلافة، ثم ان هذا الاتهام لم يثبت ببينة شرعية، ولا إقرار معتبر، وقد كان الإمام الحسن (ع) بالمدينة ومعاوية في الشام فكيف يسمه ؟ فالرأي الأصوب لدى هذا الكاتب هو ان الإمام الحسن (ع) كان مطلاقاً لا يدوم مع امرأة فلا ريب انه من كيدهن[٤٦]. وإلى هذا الرأي الأخير ذهب كتّاب متأخرون آخرون[٤٧] أما طه حسين[٤٨] فقد وقع في حيرة من أمره

فقال: ولست اقطع بأن معاوية قد دس إلى الإمام الحسن (ع) من سمه، ولكنه لم يقطع كذلك بأنه لم يفعل، وأورد شواهد[٤٩] استخدم فيها السم في عهد معاوية ترجح قول المؤرخين المتقدمين في ان الإمام الحسن (ع) قد سُمّ من معاوية.

وأوصى الإمام الحسن (ع) أخيه الإمام الحسين (ع) بأخيه محمد بن الحنفية[٥٠] وأوصى محمداً بمؤازرة أخيه الإمام الحسين[٥١]، وأوصى الإمام الحسين (ع) أيضاً بأن لا يسفك في سبيل دفنه بالقرب من جده i محجمة من دم[٥٢]. ثم توفي فصلّى عليه سعيد ابن العاص والي المدينة قدمه الامام الحسين (ع) قائلاً له: لولا انها سُنة ما قدمتك[٥٣].

وعندما حملت جنازة الإمام الحسن (ع) حمل سريره مروان بن الحكم فقال الإمام الحسين (ع): أتحمل سريره وقد كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان: اني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[٥٤].

وقد تنادى مروان وبني أمية لمنع دفن الإمام الحسن (ع) إلى جانب جده i، وأبى الإمام الحسين (ع) إلاّ ان ينفذ وصية أخيه، وخرج مروان وقومه بالسلاح وبعد مماحكات وصلت حد أن ترى جنازته (ع) بالسهام أضطر الهاشميون والإمام الحسين (ع) إلى دفن الإمام الحسن (ع) في بقيع الغرقد[٥٥] إلى جانب أمه فاطمة الزهراء (ع)[٥٦].

هوامش البحث

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١٨١/٣.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٦، الطبري، تاريخ، ٧١/٦، ابن الاثير، الكامل، ٢٧١/٣، ابن الطولوني، النزهة السنية، ص٤٦.

(٣) ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، ٢٨٢/٣ – ٢٨٤، الشيخ المفيد، الارشاد، ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٤) البلاذري، انساب الاشراف، ٢٩٣/٣، وينظر: الطبري، تاريخ، ٧١/٦ – ٧٢، ابن اعثم، فتوح، ٢٨٩/٤، ابن الاثير، الكامل، ٢٧١/٣ – ٢٧٢.

(٥) ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٠، الشيخ المفيد، الارشاد، ص٢٧٥.

(٦) ينظر: ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ص٤٦٣ – ٤٦٤، ص٤٩٢، ص٤٩٤، المنقري، صفين، ص٨٠.

(٧) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١٨٦/١ – ١٨٧.

(٨) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص٢٧٨ ، وينظر : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٣٠م) ، علل الشرائع ، ط النجف ، (بلا.ت) ، ٢١١/١ .

(٩) الإحنةُ: الحقد في الصدر. ابن منظور، لسان العرب، مادة أحن.

(١٠) أصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة تبدلت الحاء هاءً فصارت أهواز، فصارت اسماً عربياً سميت به في الإسلام. وهي كورة من بلاد فارس، وفيها نهر مسمى باسمها يمرّ بها حتى يصب في البحر.

ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن اسحاق بن جعفر (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٠٣، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وحواشيه: محمد مخزوم، ط بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٣١٠.

(١١) الأخبار الطوال، ص٢١٨.

(١٢) تاريخ، ٧٢/٦.

(١٣) الكامل، ٢٧٢/٣.

(١٤) مقاتل الطالبيين، ص٧٤ – ٧٥.

(١٥) انساب الاشراف، ٢٨٧/٣.

(١٦) الفتوح، ٢٩١/٤، الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ١٩/٣.

(١٧) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١٨٤/١، البلاذري، انساب الاشراف، ٢٨٦/٣، ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الشافعي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، ط الرياض، (بلا.ت)، ٤١/٨، ابن حجر، الاصابة، ٣٣٠/١.

(١٨) سورة الأنبياء: الآية ١١١.

(١٩) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٣/٢.

(٢٠) الجمل، سيرة الحسين، ص١٠٦. وينظر: ص١٠٩.

(٢١) الجبري، حوار مع الشيعة، ص١٠١ – ١٠٢.

(٢٢) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ١٧٦/٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ١٧٨/٢، ١٨١.

(٢٤) صالح، اليمين واليسار، ص١٤٧ – ١٤٨.

(٢٥) ماجد، التاريخ السياسي، ٢٠/٢.

(٢٦) الابياري، إبراهيم، معاوية الرجل الذي انشأ دولة، ط القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٢٣٣.

(٢٧) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢٨) طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، ط٦، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص٤٥٩.

(٢٩) البخاري، صحيح البخاري، ص٤٧٩، وانفرد به من بين أصحاب الصحاح الستة.

(٣٠) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين وآخرون، ط القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ٦٧/٢.

(٣١) واسمه نفيع بن مسروق، أمه سمية، أخوه زياد بن أبيه، كان عبداً في الطائف، فلما حاصر النبي حصنها، أعطى الأمان للعبيد وأملهم بعتقهم ان هم نزلوا من الحصن فتدلى نفيع مع بضعة عشر رجلاً خارج الحصن، ولأنه نزل في بكرة سمي أبو بكرة. اسلم أبو بكرة بعد أن اعتقه رسول الله i في السنة الثامنة للهجرة، وتوفي في ولاية زياد البصرة على عهد معاوية بن أبي سفيان.

ابن سعد، الطبقات، ١٥٩/٢، ١٥/٧ – ١٦، ابن قتيبة، المعارف، ص١٦٣ – ١٦٤.

(٣٢) البيهقي، دلائل النبوة، ٤٤٢/٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٧٠/١، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن محمد المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨)، العواصم من القواصم، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، ط بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٣٥ ؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ١١/٢.

(٣٣) مسلم، صحيح، ص١٢٢١، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١٠٣/١، البيهقي، دلائل النبوة، ٥٤٩/٢.

(٣٤) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١٠٣/١.

(٣٥) الصحيح، ص٤٧٩.

(٣٦) الاستيعاب، ٣٧٠/١.

(٣٧) ابن سعد، الطبقات، ١٥٩/٢.

(٣٨) مروج الذهب، ١٨٥/٣.

(٣٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٩٥/٣، ابن حجر، الاصابة، ٤٣٣/٣.

(٤٠) ينظر: البخاري، صحيح، ١٢٥٢ – ١٢٥٣، مسلم، صحيح، ١٢١٠ – ١٢١١، ابن ماجة، السنن، ص٦٧٢، أبو داود، السنن، ص٧٠٨.

(٤١) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ١٧٧/٢.

(٤٢) الورداني، السيف والسياسة، ص١٤٠.

(٤٣) الطبري، تاريخ، ٧٥/٦.

(٤٤) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٠، التميمي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار عليهم السلام، ط بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، المجلد ١٢/٣، ١٢٣ – ١٢٤، المسعودي، مروج الذهب، ١٨٢/٣.

(٤٥) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨١، التميمي، شرح الأخبار، ١٢٤/١٢/٣، المسعودي، مروج الذهب، ١٨١/٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٧٥/١.

(٤٦) حوار مع الشيعة، ص٢٣٣ – ٢٣٤، وينظر رأي ابن العربي، العواصم من القواصم، ص١٤٣ – ١٤٤.

(٤٧) ماجد، التاريخ السياسي، ص٢١، الجمل، سيرة الحسين، ص٤ – ٥.

(٤٨) الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص١٩٣.

(٤٩) ومما ذكره في هذا المجال: ((فقد عُرف الموت بالسم في أيام معاوية على نحو مريب غريب. مات الاشتر – فيما يقول المؤرخون – مسموماً في طريقه إلى ولاية مصر، فخلصت مصر لمعاوية وقال معاوية وعمرو: ((ان لله جنداً من عسل))، ومات عبد الرحمن بن خالد.. ومات الحسن (ع) بين هذين الرجلين مسموماً كذلك في أكبر الظن، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد)). المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٥٠) ابن علي بن أبي طالب، أمه من سبي اليمامة فصارت إلى الامام علي، وفيه قال النبي i لعلي عليه السلام: ((انه سيولد لك بعدي غلام فقد نحلته اسمي وكنيته كنيتي)). انتقل من المدينة إلى الطائف أيام عبد الله ابن الزبير وتوفي بها سنة ٨١هـ/٧٠٠م.

ابن سعد، الطبقات، ٣٢٨/٣ – ٣٢٩، ابن قتيبة، المعارف، ١٢٦.

(٥١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢١.

(٥٢) اليعقوبي، تاريخ، ١٥٦/٢ – ١٥٧.

(٥٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٦١/٤، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٥٠، التميمي، شرح الأخبار، ١٢٦/١٢/٣، ابن الاثير، الكامل، ٣١٦/٣.

(٥٤) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٢ – ٨٣.

(٥٥) مقبرة أهل المدينة المنورة، وهي داخل المدينة في أعلى أودية العقيق، ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٣/١.

(٥٦) التميمي، شرح الأخبار، ١٢٧/٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٧٤/١ – ٣٧٥.